كيف تكتب ؟

من كتاب المرشد « لجود »

The Bookmark C. E. M. Joad

قبل أنّ الكتابة مهنة صعبة وتحتاج الى مهارة ، ولا يستطيع ممارستها إلاّ أولئكم الذين ثقفوا فنها ، وتعمّقوا أسرارها .

ولكني أرى أنّ الرجل العاديّ ، يمكنه أن يجيدها ، إذا أجهد نفسه في الاعراب عما يفكر فيه بوضوح — ولكن العاديين من الناس ، لن يجاروا ذلك ، لاعتقادهم الثابت ، أن الكتابة تختلف عن المحادثة ، فالمحادثة تؤدي المعنى ، أما الكتابة فتحقق ما يسمونه بالتأثير الأدبي .

وترجع علة هذا الاعتقاد ، الى أمرين : أحدهما أن كثيراً من المؤلفين ساروا على أن الكتابة فن ، فن بالمعنى الذي نجده في رسم الصورة ، أو الوضع الموسيقي الاصطلاحي . والأمر الثاني ، أنّ كثيراً من الصحافيين ، يزعمون ، أنّ الكتابة ، لا بدّ أن يقع منها البريق ، أو تلمع فيها الفكاهة ، أو تثير النشاط ، والكاتب في الصحافة . ينبغي أن تكون ألفاظه مؤثرة غير مرتقبة ، مليئة بالتأكيدات ، ليضفي ثوب الأهمية على الأحداث ، ولا يبالي العمق ، وانما التأثير في المظاهر ، وهذه السماتُ لا تتفق مع شعور الكاتب الأدبي المخلص ، والكاتب الصحافي بدلاً من أن يقول : « جلست القطة على السجادة » يقول : تمدّدت ، القطة ـ جريمالكين ، في ملاحة ، وأخذت تموء موالة بنم عن الرضا المأثور ، وربضت على سجادة عجيبة ملونة من طراز يفصح عن الشرق ، وعجائب الف ليلة ! !

ومثل هذا التعبير ، ردىء ، وجاف ، ومجرّد عن البساطة ومخالف لأصول الكتابة الجيدة وما ريبَ ، أن الكتابة فنٌ حقًّا ، ولها اصطلاحاتها ، وطريقتها ، وكلماتها المتخيَّرة ، وأسلوبها في الانسجام والوزن ، ولكن لا يجوز أن نحصر كل اهتمامنا في طريقة القول ، دون القول ذاته ، ولا يجوز لنا في هذا العصر ، أن نجاري أدباء القرن الماضي ، الذين كان يعتقد أكثرهم أنّ الأسلوب الكتابي له قيمة ذاتية مستقلة عن المعنى ، ومن بين هؤلاء نذكر جماعة « المنحطين » وعلى رأسهم أوسكار وايلد ، على حين نجد أنّ البعض الآخر من أدباء القرن الماضي ، كانوا لا يرون هذا الرأي ، فكان صمويل بطلر يقول :

« لا أعرف كاتباً مقروءاً ، يجهد نفسه ، أقل اجهاد من أجل الأسلوب » . وهنا ، قد يتساءل إنسان عن منزلة الأسلوب الموسيقي الممتاز ؟ والأسلوب الموسيقي ، لا غبار عليه إذا جاء طبيعيًّا ، وكان ثمرة من ثمرات الفكرة الأصيلة ، أما اصطناع مثل هذا الأسلوب ، والسعي إليه ، فإنما هو سعيٌ الى الادعاء والتصنع .

ويقول هازليت ، وهو من أساتذة الفكر الانجليزي : « لكي تكتب كتابة سليمة ، عليك أن تكتب كما يتحدث إنسان حديثاً عادياً ، على أن يكون إنساناً لبقاً ، له قدرة على اختيار ألفاظه ، والهيمنة عليها ، أو كن يتحدث في سهولة وقوة وانسياق ، تاركاً جانباً التعالم والحذلقة » وأريد أن أقول ، أني لم أفكر قليلاً أو كثيراً في أسلوبي ، ولا أعرف إن كان لي أسلوب أو لا ، ولكنها الخاصة هي التي ألوذ اليها ، ولن يفكر رجل في أسلوبه دون أن يضيع نفسه وقراءه !

ويحسن ، اذن ، أن لا نجاري عمي البريق ، والتنسيق ، وأن لا نساير الصحافيين في مصطلحيتهم ، وعلينا ، قبل أن نخط حرفاً ، أن نتسم ، أن لا نعبر إلاّ عما نقوله تماماً ، أو نتحدث به ، في لفظ سهل بسيط ، يوصل الى الغاية . أو الى المعنى المنشود .

***

وكل من يعنى في الكتابة ، عليه أن يحتفظ بفكرة لتسجيل خواطره اليومية ، لأن كتابة اليوميات تعوّد الكاتب الكتابة في صدق ، وأسلوب طبيعي ، لا أثر فيه للتكلف أو التصنع ، ومن نماذج هذه اليوميات ، مفكرة الكاتب الانجليزي الشهير صمويل بيبيز Pepys وهو من أعظم كتّاب اليوميات ، وقد كتبها بأسلوب شخصي فريد ، لا بأسلوب . مزركش منمّق ، فهي واسعة وطريفة وقوية .

وعلى الكاتب ، فضلاً عما تقدّم ، أن يتوخى العذوبة والايجاز ، والاصالة ، بقدر المستطاع ، دون خوف من التعبير عن نفسه تعبيراً طبيعيًّا

وليست هناك قاعدة ذهبية للكتابة الجيدة ، كما أنه ليست هناك قاعدة ذهبية للحياة الطيبة ، وقد يخرج الكاتب العظيم على جميع القواعد ، ويختط لنفسه طريقة . ويعدّ من الكتّاب العظام .

وأعود الى القول ، بأن جمال الألفاظ وموسيقاها ، لها قيمتهما ، على أن يأتيا عفواً ودون تصنع ، وكل مجهود يبذل لتجميل الألفاظ ، وتنسيق موسيقاها ، فهو جهد غير مثمر

مصطفى عبد اللطيف السحرتي